

العنف المدرسي وأثره على التحصيل الدراسي والسلوكي للطفل

الاستاذة إباء محمد الدريعي / مديرة الشؤون التربوية العامة في مجمّع البيان التربوي (لبنان)

مقدمة :

اقتحم مفهوم العنف في الألفية الواحد والعشرين مجال تفكيرنا وممارساتنا وسلوكياتنا في كافة المجالات وصار مصطلح العنف غير غريب على مسامعنا حيث صرنا نرى ونسمع ونشاهد صنوفاً وأنواعاً من العنف كالعنف الأسري والعنف ضد المرأة والعنف الديني والعنف المدرسي وغير ذلك من المسميات التي تندرج أو تتعلق بهذا المفهوم .

ولو عدنا إلى حقبة أو قرونٍ خلت لوجدنا هذا المفهوم ممارساً في كثير من البيئات والمجتمعات بل لعله يعتبر ملاصقاً لها على الصعيدين الفردي والجماعي ويأخذ صوراً وأشكالاً مختلفة فيما مضى وما زال موجوداً بصورٍ ووجوه وأساليب جديدة . وبالرغم من التطور الفكري والتكنولوجي إلا أنّ العنف لا يزال يتمثل بالتهديد والإيذاء وقد يصل إلى القتل وقد يكون في صور معنوية مختلفة كالاستهزاء والحط من قيمة الآخر والسيطرة الكاملة عليه وقمعه ومنعه من التعبير أو من اتخاذ القرارات والحرب النفسية التي تُشن بطرق ووجوه لا حصر لها وغير ذلك من الوسائل .

والاتجاه نحو العنف نجده لدى الأفراد أو المجتمعات وقد تزيد نسبة العنف في المجتمع الواحد وقد تنقص وقد تظهر في مجتمع بسبب ظروف معينة وتختلف هذه النسبة من مجتمع إلى مجتمع ومن زمن إلى زمن وصور التعبير عن هذا العنف قد تأخذ مسارات متباينة تبعاً للمنحآت والظروف التي يعيشها المجتمع من الناحية الثقافية والاقتصادية والسياسية المختلفة .

وحيث إن مسألة العنف ليست محصورة في مكان ما أو زمان معين فقد بدأ الاهتمام العالمي بهذه الظاهرة سواء على مستوى الدول أو الباحثين أو العاملين في المجالين السلوكي والتربوي أو على مستوى المؤسسات والمنظمات التي تعنى بحقوق الإنسان بشكل عام وبالطفل بشكل خاص وذلك نتيجة لتطور الوعي النفسي والاجتماعي بأهمية مرحلة الطفولة وضرورة توفير البيئة الملائمة لنمو الأطفال نمواً سليماً جسدياً ونفسياً واجتماعياً لما لذلك من أثر على شخصية الطفل في المستقبل .

وقد قامت الأمم المتحدة بصياغة اتفاقيات عالمية تنص على ضرورة حماية الأطفال من جميع أشكال الإساءة والاستغلال والعنف التي يتعرضون لها في زمن السلم والحرب .

كما تمّ ذكره فإنّ للعنف صوراً متباينة ، وفي هذه المداخلة سيتم الحديث عن العنف المدرسي ضمن النقاط التالية :

- ١ - كيف نُعرّف العنف المدرسي ؟
- ٢ - ما هي أشكال العنف المدرسي ؟
- ٣ - هل من مظاهر أخرى للعنف في الحياة المدرسية ؟
- ٤ - أسباب ممارسة العنف ؟
- ٥ - آثار ممارسة العنف على الطفل .

٦ - ماهي الاجراءات الواجبة للحماية من العنف المدرسي .

تعريف العنف المدرسي :

هو أي سلوك يتسم بالعدوانية الظاهرة أو المقنعة في المدرسة وينتج عنه أذى بدنياً أو نفسياً على الطفل .
وتجدر الإشارة إلى أن العنف المدرسي هو عملة ذات وجهين .

- الوجه الأول : العنف من المعلم على الطفل أو التلميذ .
- الوجه الثاني : العنف من الطفل ضد البيئة المحيطة به داخل المدرسة .

تفصيل في أشكال العنف من المعلم على الطفل : (الوجه الأول)

هناك ثلاثة أنواع من العنف :

- العنف الجسدي : كالضرب - الصفع - شد الشعر - القرص - احتجاز في الصف أوقات اللعب - إخراج من الصف أثناء الشرح .
- العنف النفسي أو المعنوي :
الاهانة - الإذلال - السخرية من التلميذ أمام زملائه - نعتة بصفات مؤذية - احتجازه في الصف - القساوة في التخاطب - النقد المستمر - التمييز بين الأطفال - البرودة العاطفية في التعاطي معه - عدم احترامه - عدم تقدير جهوده - عدم المبالاة به أو تهميش إنجازاته .
- العنف الجنسي : ويتدرج من استعمال كلمات ذات دلالة جنسية ، إلى استدراجه لأفعال شاذة ومريبة تصل إلى حد التحرش الجنسي .

كما أنّ هناك أنواعاً من العنف غير المنظورة على المستوى التربوي العام قد تكون موجودة في الحياة المدرسية .

حيث لا يقتصر العنف على ما سبق ذكره ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، تُعتبر الأبنية المدرسية غير الملائمة نوعاً من أنواع العنف اللامرئي كأن تكون المدرسة ضمن أحياء سكنية مليئة بالضجيج أو عدم وجود ملاعب ما يحرم الطفل من اللعب وقد يتمثل في المناهج الدراسية غير الملائمة لامكانياته وقدراته العمرية أو الذهنية .

وأيضاً إلزام الطفل ببرامج تعليمية تقتضي بالضرورة حمل الحقيبة المدرسية التي تزن أضعاف ما يستطيع الطفل حمله .

هذه الأمثلة وإن كانت لا تصب في إطار العنف الذي تُصاغ له قوانين الحماية إلا أنّها تمثل شكلاً من أشكال العنف الذي يجب البحث فيه وإيجاد حلول تحمي الطفل وتضمن له حقوقه في هذا الإطار .

من ناحية أخرى نجد أن المجتمعات والمدارس تشكو من ظاهرة العنف عند الطلاب بشكل عام فما هي تفصيلات هذه الظاهرة ؟

الأسباب المؤدية لتأسيس سلوك العنف لدى الأطفال :

بناءً على الدراسات النفسية والاجتماعية يمكن القول على أن سلوك العنف على المستوى الفردي أو الجماعي هو عادة تُكتسب وتتكون من خلال العلاقات الشخصية والاجتماعية التي يتم النشوء عليها .

أما أهم الأسباب التي تؤكد الدراسات أنها تؤدي لتأسيس سلوك العنف لدى الأطفال فهي :

العوامل الأسرية :

- أساليب التنشئة الخاطئة مثل (القسوة - الإهمال - التباهي في استخدام العنف من الأب تحديداً - القمع على المستوى الفكري والحركي من خلال التربية على الحلال والحرام دون تفسير لذلك والمنع من اللعب والحركة دون تفسير وتبرير أيضاً .
- فقدان الحنان : نتيجة الطلاق أو وفاة أحد الوالدين .
- الشعور بعدم الاستقرار الأسري : نتيجة لكثرة المشاجرات الأسرية والتهديد الدائم من قبل الزوج بالطلاق .
- كثرة عدد أفراد الأسرة : فلقد وُجد من خلال العديد من الدراسات أن هناك علاقة بين عدد أفراد الأسرة وسلوك العنف .
- بيئة السكن : حيث يُؤثر مكان السكن في مناطق مكتظة أو فقيرة على تَبَيُّ سلوك العنف كوسيلة لحل المشكلات .

العوامل الاجتماعية :

- تلعب الثقافة دوراً كبيراً في تأسيس العنف في المجتمع فإذا كانت الثقافة والممارسة داخل المجتمع تشجع على العنف وتفتخر به فلا شك أن الفرد سيعتبر هذه الممارسات كنوع من أنواع البطولة التي يمجدها وينتهجها .
- المجتمع هو الخزان الذي تنبثق منه كل الممارسات الفردية والجماعية لذا فإنه يؤثر في نَسَق الأسرة والتعليم والإعلام ، فإذا ساد العنف في الأسرة فلا شك أن هذه الممارسات ستنقل إلى المدرسة .
- المناطق المهمشة والمهملة داخل المجتمع : يميل ساكنوها إلى تبني العنف نتيجة الشعور بالاحباط وفقدان الفرص في إيجاد وسائل بديلة .
- الفقر : حيث يعتبر من الأسباب الرئيسية في انتشار سلوك العنف نتيجة لإحساس الطبقة الفقيرة بالظلم الواقع عليها وخاصة مع غياب الضمان - الاجتماعي والصحي والتعليمي - الذي يُعتبر من حقوق الإنسان البديهية .
- عدم الاستقرار داخل المجتمع : ويشمل نواحي العدالة والمساواة وفرص العمل مما يولد شعوراً بالغبرة داخل الوطن مع ما يصاحب ذلك من مشاعر نفسية وعاطفية تربي الكره للذات وللمحيط مما ينعكس على الممارسات التي تظهر بصورة العنف .
- الحروب والغزو والاحتلال : تؤثر بشكل مباشر على سلوك الفرد والمجتمع بشكل عام وعلى الأطفال بشكل خاص حيث يعانون من عدم الأمان والخوف القاتل وانعدام الاستقرار الذي يصل إلى التهجير والسلب والقتل .
- هذه المشاعر المتضاربة تؤدي بشكل صارخ إلى استعمال العنف بغية الوصول إلى الحقوق الطبيعية المسلوبة .

العوامل النفسية :

- ١ - الإحباط : إذ عادةً ما يُوجَّه العنف نحو مصدر الإحباط الذي يحول دون تحقيق أهداف الفرد أو الجماعة سواء كانت مادية أو نفسية أو اجتماعية .

- ٢ - محاولة إثبات الذات : وبالأخص عند الأطفال الذين يعانون من تهميش معين في المحيط الأسري فيلجأون إلى استعمال العنف كوسيلة لإثبات الأنا والوجود عن طريق لفت النظر بأعمال مخزبة أو عنيفة .
- ٣ - التعرض المسبق للعنف : فالعنف لا شك يولد العنف بطريقة مباشرة ربما على مصدر العنف أو توجيه العنف إلى الحلقة الأضعف في المدرسة أو المحيط – أو إلى الشخص الموازي لمصدر العنف كالمدرّس أو مسؤول المدرسة .

حماية الذات :

قد يستعمل الطفل العنف كوسيلة للدفاع عن النفس في حال تعرّض لتهديد مادي أو معنوي وقد تصبح الوسيلة الأمثل في حال كان المعتف أقل قدرة منه على الصعيدين الجسدي والفكري .

ملء أوقات الفراغ :

وذلك لعدم وجود أنشطة تهم الطفل وتملاً وقته وتعزز قدراته الفكرية والجسدية وتساعد على تصريف الطاقة الزائدة الموجودة عنده مما ينعكس على طريقة التعاطي مع البيئة والأشخاص وردود الأفعال تجاه تصرفات الآخرين .

وسائل الإعلام وألعاب الأطفال :

حيث يلعب الإعلام دوراً كبيراً في تأسيس سلوك العنف لدى الأطفال من خلال البرامج والمسلسلات التي تحتوي على عناصر الإبحار والسرعة والحركة للأطفال في تلك المسلسلات والتي يقوم الطفل بمحاولة تطبيق المشاهد على أرض الواقع والتي تكرس مفهوم السيطرة والقتل والعدوان .

ولو عدنا إلى أشكال العنف المدرسي الذي تم تقسيمه على الشكل التالي :

- ١ - عنف بين الطلاب فيما بينهم .
- ٢ - عنف من الطلاب على البيئة المحيطة (المدرسة) .
- ٣ - عنف من المعلم على الطلاب .

لوجدنا أن هذا التأثير يصل إلى مجالات مختلفة .

جدول تأثير العنف على الطلاب في المجال : السلوكي – التعليمي – الاجتماعي – الانفعالي .

المجال السلوكي	المجال التعليمي	المجال الاجتماعي	المجال الانفعالي
١- عدم القدرة على التركيز	١- هبوط في التحصيل التعليمي	١- حب الانعزال عن الناس	١- انخفاض الثقة بالنفس.
٢- عدم القدرة على الانضباط .	٢- تأخر عن المدرسة .	٢- عدم وجود علاقات	٢- إحباط يصل إلى درجة

الاكتئاب .	اجتماعية مع الأطفال .	٣- غياب متكرر غير مبرر	٣- اللامبالاة بالأنظمة والقوانين
٣- ردود فعل سريعة غير موضوعية .	٣- عدم المشاركة في نشاطات جماعية .	٤- رفض للمشاركة في الأنشطة المدرسية .	٤- العصبية الدائمة في الموقف .
٤- المحجوم أو الدفاع في المواقف .	٤- العدوانية تجاه الآخرين .	٥- الهروب من المدرسة بشكل دائم أو متقطع .	٥- مخاوف غير مبررة .
٥- شعور بالتوتر الدائم .			٦- تشتت الانتباه .
٦- احتقار الذات .			٧- سرقة أغراض الزملاء .
٧- شعور بالخوف وعدم الأمان .			٨- الكذب .
			٩- عنف بللكالام أو أثناء الحوار .
			١٠- رغبة في ضرب الحيوانات وتعذيبها .
			١١- ممارسات شاذة .

إن العنف الذي يمارسه الطلاب أو الأطفال ما هو إلا نتيجة لممارسات عنيفة تمّ تطبيقها على الأطفال بشكل أو بآخر ويتبادر إلى الأذهان سؤال .

هل هناك طلاب يجزؤون المعلم على ممارسة العنف ؟

والجواب أن هناك أطفال أكثر عرضة للوقوع ضحايا العنف المدرسي منهم :

- ١ - الأطفال ذوو الطباع الصعبة .
- ٢ - الأطفال الذين يعانون من الحركة الزائدة والذين يصعب ضبطهم .
- ٣ - الأطفال الذين يعانون قصوراً ما في نموهم الطبيعي أو المصابون بإعاقة تعليمية .

وما يسبب العنف هنا ، ليس الإصابتبجد ذاتها وإنما خيبة أمل المعلم من التوقعات وتباعد الصورة التي يتمناها عن الصورة الواقعية لقدراته الحقيقية .

الأسباب التي تدفع بالمعلم إلى ممارسة العنف :

- ١ - عدم معرفة المعلم بقواعد النمو السليم وبحاجات التلميذ وإمكاناتهم وارتفاع سقف الاحباط الذي يتعرض لهالمعلم عند رؤية النتائج التقييمية للطفل .
- ٢ - وجود إدراك خاطئ لدى المعلم عن قدرات الأطفال وإمكاناتهم ما يجعله يفسّر عدم انتباههم أو حركتهم أو معارضتهم لتعليماته على أنها إشارة نبذ وتهميش لشخصه فيرد عليها بنوع من العدوان والعنف .

٣ - وجود إيجابيات في سيرة المعلم أو تعرّضه في طفولته إلى شكل من أشكال العنف أو مشاهدة العنف في أجوائه الأسرية مما يجذبه إلى اختبار العنف في مرحلة الرشد وممارسته على طلابه .

هل توجد قوانين رادعة للعنف المدرسي ؟

كما ذكرت تساهم المجتمعات وبعض البيئات في قبول العنف وفي شيوع هذه الثقافة بل وترويجها .

ولا توجد في القوانين اللبنانية نصوص رادعة للعنف الممارس على الأطفال بكافة أشكاله .

والقوانين الموجودة في قانون العقوبات هي قوانين رادعة للأذى الذي يلحقه شخص بآخر من دون أي إشارة إلى العنف على الأطفال بما فيه العنف المدرسي .

بل إننا نجد على العكس بعض القوانين التي تكترس الايديولوجيا الاجتماعية السائدة والتي تكترس سلطة الأب المعلم ولا تضع أي حدود فاصلة بين تأديب الولد وبين تعنيفه فنص المادلا ١٨ من قانون العقوبات يقول :

" لا يُعد جريمة الفعل الذي يبيزه القانون . ويجوز القانون ضروب التأديب التي ينزلها بالأولاد آبائهم وأساتذتهم على نحو ما يبجه العرف العام " .

ما هي الاجراءات الواجبة للحماية من العنف المدرسي ؟

مما لا شك فيه أن معظم حالات التسرب المدرسي والنزول إلى سوق العمل في عمر الطفولة وانخفاض المستوى التعليمي لدى الأطفال تعود أكثر أسبابها إلى العنف سواء كان داخل الأسرة أو المدرسة .

لذا فإنه من الضرورة بمكان أخذ الاجراءات التالية :

- ١ - إعداد مسح شامل لظاهرة العنف المدرسي لتحديد حجمه .
 - ٢ - صياغة أسس تربوية وقوانين جديدة تلغي العقاب المدرسي الجسدي .
 - ٣ - تأهيل المعلمين وتفعيل تدريبهم .
 - ٤ - إلغاء قوانين واستحداث أخرى رادعة للعنف المدرسي .
 - ٥ - تشديد الدولة على آلية تنفيذ هذه القوانين .
 - ٦ - إنشاء محاكم مختصة في قضايا الأطفال .
 - ٧ - إنشاء هيئة تابعة لوزارة التربية والتعليم تعنى بالشكاوى وتدريب القيمين على مهمة التربية والتعليم المدرسي .
 - ٨ - مراقبة الدولة اللبنانية مدى تطبيق اتفاقية حقوق الطفل وآليات تنفيذها .
 - ٩ - إلزام المدارس على المستوى الرسمي والخاص بأن تُلحق بجهازها البشري ذوي اختصاص مؤهلين لتفصي حالات العنف ومختلف المشاكل التي يتعرض لها التلاميذ والمشاركة بإيجاد الحلول لها .
 - ١٠ - تفعيل دور العاملين في مجال حقوق الإنسان لصياغة قوانين تحد من ظاهرة العنف المدرسي .
- التوعية الاجتماعية عبر وسائل الإعلام للوالدين وأولياء الأمور بشكل عام في أساليب التنشئة الاجتماعية المناسبة لكل مرحلة عمرية باعتبار أن الأسرة هي المصدر الأساسي في تأسيس سلوك العنف بشكل عام .

- التوعوي الاجتماعية من خلال الندوات والمؤتمرات حول حقوق الطفل في الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية وحقه في اللعب والمشاركة والتعبير عن الرأي وحقه في الشعور بالأمن النفسي والاجتماعي .
- تشكيل مجلس من إدارات المدارس والمعلمين وإجراء لقاءات حول الخصائص النمائية لكل مرحلة عمرية والمشكلات النفسية والعمرية المترتبة عليها وطريقة التعامل معها وخصوصاً سلوك العنف .
- تنفيذ ندوات للمدارس حول حقوق الطفل المعنوية والنفسية والجسدية والاجتماعية والمدنية .
- تنفيذ برلمان الأطفال بشكل دائم كتجسيد واقعي لفكرة الديمقراطية والتعبير عن الرأي والمشاركة في صنع القرارات التي تتعلق بشؤونهم .
- تأسيس مركز علاجي على المستوى الوطني يعنى بتوجيه وعلاج الأطفال الممارسين للعنف أو الأطفال الذين مورس عليهم العنف بشكل دقيق وفعال وعلى أيدي أخصائيين وأطباء في هذا المجال .
- وأخيراً فإنني أتوجه بالشكر على حسن استماعكم لهذا الملخص عن العنف المدرسي عسى أن يكون نافعاً للمجتمع ومؤسساً لمنع سلوك العنف وممارسته على الأطفال .

المراجع :

- نبيل راغب (٢٠٠٩) أخطر مشكلات الشباب (القلق - العنف - الإدمان) ، القاهرة - دار الغريب.
- يحيى حجازي (ب ت) المساعد في التعامل مع العنف المدرسي وحل الصراعات ، مركز الشرق الأوسط للديموقراطية - بيت حنينا - القدس .
- أحمد عكاشة (١٩٩٤) الطب النفسي المعاصر ، القاهرة - الأنجلو المصرية .
- محمد بو بكرى : " تأملات في نظام التعليم بالمغرب " مطبعة فكيك الدار البيضاء .
- مصطفى البتر - العنف العائلي - أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض ١٩٩٩ .
- سعيد اسماعيل علي - فلسفات تربوية معاصرة - سلسلة عالم المعرفة ١٩٩٥ .
- مجلة الجيش ٢٠٠٥ - تربية وطفولة - باسمه المنلا - كلية الصحة العامة في الجامعة اللبنانية .